

﴿فيعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ إلا عبادك منهم المخلصين ﴿ كما قال عز وجل ﴿أرأيتك هذا الذي كرمت علي﴾ لئن أخترتني إلى يوم القيامة لأحتكن ذريته إلا قليلاً ﴿ وهؤلاء هم المستثنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً﴾ .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿قال فالحق والحق أقول﴾ لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين ﴿ قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن معناه أنا الحق والحق أقول ، وفي رواية عنه : الحق مني وأقول الحق ، وقرأ آخرون بنصبها قال السدي هو قسم أقسم الله به (قلت) وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ وكقوله عز وجل ﴿قال اذهب فممن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً﴾ .

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمَنَّ يَا أَبِيعَدْحَانَ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى قل يا محمد هؤلاء المشركين ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجراً تعطونه من عرض الحياة الدنيا ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ أي وما أريد على ما أرسلني الله تعالى به ولا أبتغي زيادة عليه بل ما أمرت به أدتبه لا أزيد عليه ولا أنقص منه ، وإنما أبتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة ، قال سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق قال : أتينا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم ، الله أعلم ؛ فإن الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ أخرجاه من حديث الأعمش ، به وقوله تعالى : ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ يعني القرآن ذكر لجميع المكلفين به من الإنس والجن ، قال ابن عباس رضي الله عنهما ، وروى ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي غسان مالك بن إسماعيل حدثنا قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿للعالمين﴾ قال : الجن والإنس ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿لأنذرکم به ومن بلغ﴾ وكقوله عز وجل ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ وقوله تعالى : ﴿ولتعلمن نبأه﴾ أي خبره وصدقه ﴿بعد حين﴾ أي عن قريب قال قتادة بعد الموت وقال عكرمة يعني يوم القيامة ؛ ولا منافاة بين القولين فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة ، وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ قال الحسن يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين .

## سُورَةُ النَّازِعَاتِ

رتبها ٢٩ آياتها ٧٥

قال النسائي حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا حماد عن مروان بن أبي ليابة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصوم حتى تقول : ما يريد أن يفطر ، ويفطر حتى تقول : ما يريد أن يصوم ، وكان ﷺ يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِذَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَ اللَّهِ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾

يخبر تعالى أن تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن العظيم من عنده تبارك وتعالى فهو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك كما قال عز وجل ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ \* نزل به الروح الأمين \* على قلبك لتكون من المنذرين \* بلسان عربي مبين﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿وإنه لكتاب عزيز﴾ \* لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ وقال جل وعلا هاهنا ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز﴾ أي المنيع الجنب ﴿الحكيم﴾ أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ﴿أنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ أي فاعبد الله وحده لا شريك له وادع الخلق إلى ذلك وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد وهذا قال تعالى : ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ أي لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له .

وقال قتادة في قوله تبارك وتعالى : ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ شهادة أن لا إله إلا الله ثم أخبر عز وجل عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ أي إنما يحملهم على عبادتهم هم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفَعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا فأنما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به . قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد : إلا ليقربونا من الله زلفى أي ليشفَعوا لنا ويقربونا عنده منزلة ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم لييك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك . وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهي عنها والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له وإن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به بل أبغضه ونهى عنه ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ وأخبر أن الملائكة التي في السموات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمرء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنتهم فيما أحبه الملوك وأبوه ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وقوله عز وجل ﴿إن الله يحكم بينهم﴾ أي يوم القيامة ﴿فبما هم فيه مختلفون﴾ أي سيفصل بين الخلائق يوم معادهم ويميز كل عامل بعمله ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ وقوله عز وجل ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ أي لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله تعالى وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه ، ثم بين تعالى أنه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين في الملائكة والمعاندون من اليهود والنصارى في العزيز وعيسى فقال تبارك وتعالى : ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء﴾ أي لكان الأمر على خلاف ما يزعمون وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جواز به بل هو محال وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه كما قال عز وجل ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين﴾ ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنأ أول العابدين﴾ كل هذا من باب الشرط ويموز تعليق الشرط على المستحيل لمقصد المتكلم . وقوله تعالى : ﴿سبحانه هو الله الواحد القهار﴾ أي تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد ، فإنه الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذي كل شيء عبد لديه فقير إليه وهو الغني عما سواه الذي قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً .

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ ﴿٥٠﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا رِجَالًا وَأَنْزَلَ لَكُمْ  
مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَرَوِّجْ بِمَخْلُوقِكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ لَّئِلَّا ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ  
الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاتِلُوا نَاصِرُونَ ﴿٥١﴾

يخبر تعالى أنه الخالق لما في السموات والأرض وما بين ذلك من الأشياء وبأنه مالك الملك المتصرف فيه يقبل ليله ونهاره ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ أي سخرهما يجريان متعاقبين لا يفتران كل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً

كقوله تبارك وتعالى : ﴿يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ هذا معنى ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقادة والسدي وغيرهم . وقوله عز وجل ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي إلى مدة معلومة عند الله تعالى ثم ينتضي يوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ أي مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب أو تاب إليه . وقوله جلّت عظمته ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألستكم والوأنكم من نفس واحدة وهو آدم عليه الصلاة والسلام ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْهَا رِجَالًا وَنِسَاءً﴾ وهو حواء عليها السلام كقوله تعالى : ﴿وَيَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ وقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثِنْيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ أي خلق لكم من ظهور الأنعام ثنائية أزواج وهي المذكورة في سورة الأنعام ، ثنائية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وقوله عز وجل ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي قدركم في بطون أمهاتكم ﴿خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ يكون أحدكم أولاً نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم يخلق فيكون لحماً وعظماً وعصباً وعروقاً وينفخ فيه الروح فيصير خلقاً آخر ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ .

وقوله جل وعلا ﴿فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ يعني في ظلمة الرحم وظلمة المشيمة التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد وظلمة البطن . كذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو مالك والضحاك وقادة والسدي وابن زيد . وقوله جل جلاله ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي هذا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وخلقكم وخلق آباءكم هو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ﴿فَأَنْ تَصْرَفُونَ﴾ أي فكيف تبدون معه غيره ؟ أين يذهب بعقولكم ؟ .

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ

لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا

لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن نفسه تبارك وتعالى أنه الغني عما سواه من المخلوقات كما قال موسى عليه الصلاة والسلام ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ وفي صحيح مسلم وإعابادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم مانقص ذلك من ملكي شيئاً . وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ أي لا يحبه ولا يأمر به ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي يحبه لكم ويزدكم من فضله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا تحمل نفس عن نفس شيئاً بل كل مطالب بأمر نفسه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي فلا تخفى عليه خافية .

وقوله عز وجل ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ أي عند الحاجة يتضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مِنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَنُورًا﴾ ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلٍ﴾ أي في حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع كما قال جل جلاله ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ اللَّهُ أَنْدَادًا لِّبُضْلِ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي في حال العافية يشرك بالله ويجعل له أنداداً ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ أي قل لمن هذه حالته وطريقته ومسلكه تمتع بكفرك قليلاً وهو تهديد شديد ووعيد أكيد كقوله تعالى : ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ وقوله تعالى : ﴿تَمَتَّعُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّضْتُمُ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ .

أَمْ هُوَفَيْنَتْهٗ أَنْاءَ الْبَلِّ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ۗ

## إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾

يقول عز وجل أمَّنْ هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أنداداً ، لا يستون عند الله كما قال تعالى : ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ وقال تبارك وتعالى ههنا ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً ﴾ أي في حال سجوده وفي حال قيامه ولهذا استدلك هذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة ليس هو القيام وحده كما ذهب إليه آخرون . قال الثوري عن فراس عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : القانت المطيع لله عز وجل ولرسوله ﷺ وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن والسدي وابن زيد آناء الليل جوف الليل . وقال الثوري عن منصور بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء ، وقال الحسن وقتادة آناء الليل أوله وأوسطه وآخره . وقوله تعالى : ﴿ يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ أي في حال عبادته خائف راج ولا بد في العبادة من هذا وهذا وإن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب ولهذا قال تعالى : ﴿ يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه كما قال الإمام عبد بن حميد في مسنده حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه قال دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو في الموت فقال له « كيف تحمدك ؟ » فقال أرجو وأخاف ، فقال رسول الله ﷺ « لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله عز وجل الذي يرجو وأمنه الذي يخافه » . رواه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان به وقال الترمذي غريب ، وقد رواه بعضهم عن ثابت بن أنس عن النبي مرسلًا .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن أبي شيبه عن عبيدة النميري حدثنا أبو خلف بن عبد الله بن عيسى الخزاز حدثنا يحيى البكاء أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما يقرأ ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ قال ابن عمر ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه وإنما قال ابن عمر رضي الله عنهما ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بالليل وقراءته حتى أنه ربما قرأ القرآن في ركعة كما روى ذلك أبو عبيدة عنه رضي الله تعالى عنه ، وقال الشاعر :  
ضحوا بسأتمط عنوان السجود به  
يقطع الليل تسبيحاً وقرآنًا  
وقال الإمام أحمد كتب إليّ الربيع بن نافع حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن واقد عن سليمان بن موسى عن كثير بن مرة عن نعيم الداري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة » وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن إبراهيم بن يعقوب عن عبد الله بن يوسف والربيع بن نافع كلاهما عن الهيثم بن حميد به . وقوله تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ أي هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أنداداً ليضل عن سبيله ﴿ إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ أي إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل ، والله أعلم .

قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّ لَذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ

بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١١﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١٢﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه ﴿ قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ﴾ أي لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخرهم ، وقوله ﴿ وأرض الله واسعة ﴾ قال مجاهد فهاجروا فيها وجاهدوا واعتزلوا الأوثان ، وقال شريك عن منصور عن عطاء في قوله تبارك وتعالى : ﴿ وأرض الله واسعة ﴾ قال إذا دعيتم إلى معصية فاهربوا ثم قرأ ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ قال الأوزاعي ليس بوزن لهم ولا يكال لهم إنما يعرف لهم غرماً ، وقال ابن جريج بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط ، ولكن يزدون على ذلك ، وقال السدي ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ يعني في الجنة . وقوله ﴿ قل إني أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ أي إنما أُمِرْتُ بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ﴿ وأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ قال السدي يعني من أمته ﷺ .

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٤﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١٥﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ

قُلْ يَا الْخَيْرِينَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ هُمْ مَن فَوْقَهُمْ ظُلُلٌ مِّنَ النَّارِ  
وَمَن تَحْتِهِمْ ظُلُلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ لِيُعَابَدُوا فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى قل يا محمد وأنت رسول الله ﴿إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ وهو يوم القيامة وهذا شرط معناه التعريض بغيره بطريق الأولى والأخرى ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ وهذا أيضاً تهديد وتبر منهم ﴿قل إن الخاسرين﴾ أي إنما الخاسرون كل الخسران ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ أي تفارقوا فلا التقاء لهم أبداً وسواء ذهب أهلهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار أو أن الجميع أسكنوا النار ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ أي هذا هو الخسران المبين الظاهر الواضح ثم وصف حالهم في النار فقال ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾ كما قال عز وجل ﴿لهم من جهنم مهاد﴾ ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين .

وقال تعالى : ﴿يوم يفشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ وقوله جل جلاله ﴿ذلك يخوف الله به عباده﴾ أي إنما يقص خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده لينزجروا عن المحارم والمآثم . وقوله تعالى : ﴿يا عباد فاتقون﴾ أي اخشوا بأسى وسطوتي وعذابي ونعمتي .

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ  
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾ نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وسلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهم والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم قال عز وجل ﴿فبشر عباد﴾ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴿أي يفهمونه ويعملون بما فيه كقولهم تبارك وتعالى للموسى عليه الصلاة والسلام حين أتاه التوراة﴾ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴿وأولئك الذين هداهم الله﴾ أي المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة ﴿وأولئك أولو الألباب﴾ أي ذور العقول الصحيحة والفطر المستقيمة .

أَفَمَن حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأنت تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ عُرفٌ مِّن فَوْقِهَا عُرفٌ مَّبِينَةٌ ﴿٢٠﴾  
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى أفمن كتب الله أنه شقي تقدر تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك ؟ أي لا يهديه أحد من بعد الله لأنه من يضل الله فلا هادي له ومن يهده فلا مضل له . ثم أخبر عز وجل عن عباده السعداء أن لهم عرفاً في الجنة وهي القصور أي الشاهقة ﴿من فوقها عرف مبنية﴾ طابق فوق طابق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات . قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ﴿إن في الجنة لغرفاً يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها﴾ فقال أعرابي لمن هي يا رسول الله ؟ قال ﷺ ﴿لن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلّى بالليل والناس نيام﴾ ورواه الترمذي من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقال حسن غريب . وقد تكلم بعض أهل العلم فيه من قبل حفظه وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن ابن معانق أو أبي معانق عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ﴿إن في الجنة لغرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدّها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتاب الصيام وصلّى الناس نيام﴾ تفرد به أحمد من حديث عبد الله بن معانق الأشعري عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه به . وقال الإمام

أحمد : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن أهل الجنة ليرءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في أفق السماء» قال فحدثت بذلك النعمان بن أبي عياش فقال سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول «كما تراءون الكوكب الذي في الأفق الشرقي أو الغربي» أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي حازم وأخرجاه أيضاً في الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ . وقال الإمام أحمد حدثنا فزارة أخبرني فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن أهل الجنة ليرءون في الجنة أهل الغرف كما تراءون الكوكب الذي في الغارب في الأفق الطالع في تفاضل أهل الدرجات - فقالوا يارسول الله أولئك النبيون ؟ فقال ﷺ : «بلى والذي نفسي بيده أقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل» ورواه الترمذي عن سويد عن ابن المبارك عن فليح به وقال حسن صحيح . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو عامر قالوا حدثنا زهير حدثنا سعد الطائي حدثنا أبو المدله مولى أم المؤمنين رضي الله عنها أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قلنا يارسول الله إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة فإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممت النساء والأولاد قال ﷺ «لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم ، ولو لم تذبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذبون كي يفقر لهم» قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة وما بناؤها ؟ قال ﷺ «لينة ذهب ولينة فضة وملاطها المسك الأذفر وحصابؤها اللؤلؤ والياقوت وترباها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويغلد ولا يموت ، لا تيل ثيابه ولا يفتى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب تبارك وتعالى وعزتي لأنصرك ولو بعد حين» وروى الترمذي وابن ماجه بعضه من حديث سعد بن أبي مجاهد الطائي وكان ثقة عن أبي المدله وكان ثقة به . وقوله تعالى : ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي تسلك الأنهار بين خلال ذلك كما يشاءوا وأين أرادوا ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ أي هذا الذي ذكرناه وعد الله عباده المؤمنين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ .

أَلَمْ نَرِ أَنْ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُمْ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٣٩﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنَ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذَكَرِ اللَّهُ أَوْلِيَّتِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٠﴾

نخبر تعالى أن اصل الماء في الأرض من السماء كما قال عز وجل ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ فإذا أنزل الماء من السماء كمن في الأرض ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء وينبعه عيوناً ما بين صغار وكبار بحسب الحاجة إليها ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو قتيبة عتبة بن اليقظان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ﴾ قال ليس في الأرض ماء إلا أنزل من السماء ولكن عروق في الأرض تغيره فذلك قوله تعالى : ﴿فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ﴾ فمن سره أن يعود الملح عذبا فليصعده ، وكذا قال سعيد بن جبيرة وعامر الشعبي أن كل ماء في الأرض فاصله من السماء . وقال سعيد بن جبيرة أصله من الثلج يعني أن الثلج يتراكم على الجبال فيسكن في قرارها فتنبع العيون من أسافلها . وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنباع من الأرض زرعاً مختلفاً ألوانه أي أشكاله وطعمه وروائح ومنافعه ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ﴾ أي بعد نضارته وشبابه يكتهل فتراه مصفراً قد خالطه اليبس ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ أي ثم يعود يابساً يتحطم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا تكون خضرة نضرة حسنة ثم تعود عجوزاً شوهاء والشباب يعود شيخاً هرمياً كبيراً ضعيفاً وبعد ذلك كله الموت ، فالسعيد من كان حاله بعله إلى خير ، وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء وينبت به زرعاً وثمراً ثم يكون بعد ذلك حطاماً كما قال تعالى : ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَخَالَتْهُ بِهِ نَبَاتِ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ وقوله تبارك وتعالى ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق كقوله عز وجل ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مُبْتَلًى فَاجْتَنَبَ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذَكَرِ اللَّهِ﴾ أي فلا تلبن عند ذكره ولا تخشع ولا تعمي ولا تفهم ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ .

اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ  
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مِنْ حَادٍ ۝١٢٤

هذا مدح من الله عز وجل لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم . قال الله تعالى : ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني﴾ قال مجاهد يعني القرآن كله متشابهاً مثاني ، وقال قتادة : الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف وقال الضحاك : مثاني ترديد القول ليفهموا عن ربهم تبارك وتعالى وقال عكرمة والحسن ثنى الله فيه القضاء زاد الحسن تكون السورة فيها آية وفي السورة الأخرى آية تشبهها ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : مثاني مررد ردد موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أمكنة كثيرة . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما مثاني قال القرآن يشبه بعضه بعضاً ويرد بعضه على بعض ، وقال بعض العلماء ويروى عن سفیان بن عيينة معنى قوله تعالى : ﴿متشابهاً مثاني﴾ إن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد فهذان من المتشابهة وتارة تكون بذكر الشيء وضده كذكر المؤمنير ثم الكافرين وكصفة الجنة ثم صفة النار وما أشبه هذا فهذا من المثاني كقوله تعالى : ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ وإن الفجار لفي جحيم﴾ وكقوله عز وجل ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين - إلى أن قال - كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾ وهذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب - إلى أن قال - هذا وإن للطاغين لشر مآب﴾ ونحو هذا من السياقات فهذا كله من المثاني أي في معنيين اثنين وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضاً فهو المتشابه وليس هذا من المتشابهة المذكور في قوله تعالى : ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ ذاك معنى آخر . وقوله تعالى : ﴿تتشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ أي هذه صفة الأبرار ، عند سماع كلام الجبار ، المهيمن العزيز الغفار ، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد ، والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ لما يرجون ويؤمنون من رحته ولطفه فهم يخالفون لغبرهم من الفجار من وجوه [أحدها] أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات وسماع أولئك نغمت الآيات من أصوات الفينات [الثاني] أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم كما قال تبارك وتعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾ الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون \* أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾ وقال تعالى : ﴿والذين إذ ذكروا بآيات ربهم لم يحزوا عليها صفاً وعمياناً﴾ أي لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها بل مصغين إليها فاهمين بصيرين بمعانيها فلهاذا إنما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومناعبة لغيرهم .

[الثالث] أنهم يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله تعالى من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله . لم يكونوا يتصارعون ولا يتكلمون بما ليس فيهم بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك ولهذا فازوا بالمدح من الرب الأعلى في الدنيا والآخرة . قال عبد الرزاق حدثنا معمر قال تلا قتادة رحمه الله ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ قال هذا نعت أولياء الله ، نعتهم الله عز وجل بأن تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقوهم والغشيان عليهم إنما هذا في أهل البدع ، وهذا من الشيطان .

وقال السدي ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ أي إلى وعد الله ، وقوله ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده﴾ أي هذه صفة من هداه الله ومن كان على خلاف ذلك فهو من أضله الله ﴿ومن يضل الله فما له من هاد﴾ .

أَمَّنْ يَتَّقِ بَوَاجِهَهُ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿١٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْتَهُمُ  
الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٥﴾ فَأَذَابَهُمُ اللَّهُ الْغَزَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٢٦﴾

يقول تعالى : ﴿أمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾ ويفزع فيقال له ولأمثاله من الظالمين ﴿ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾ كمن يأتي آمناً يوم القيامة كما قال عز وجل ﴿أمن يمشي مكياً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط

مستقيم؟ ﴿ وقال جل وعلا ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ﴿ وقال تبارك وتعالى : ﴿ أفمن يلقى في النار خيرا أم من يأتي آمنا يوم القيامة ﴿ واكتفى في هذه الآية بأحد القسمين عن الآخر . كقول الشاعر :

فم أدري إذا يممت أرضاً  
أربني الخير أيها يليني  
يعني الخير أو الشر . وقوله جلت عظمتة ﴿ كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴿ يعني القرون الماضية المكذبة للرسول أهلكتهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ، وقوله جل وعلا ﴿ فأذاهم الله الخزي في الحياة الدنيا ﴿ أي بما أنزل بهم من العذاب والنكال وتشفي المؤمنين منهم ، فليحذر المخاطبون من ذلك فإنهم قد كذبوا أشرف الرسل وخاتم الأنبياء ﷺ والذي أعده الله جل جلاله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظم مما أصابهم في الدنيا ولهذا قال عز وجل ﴿ وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴿ .

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٢﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا

الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴿ أي بينا للناس فيه بضرب الأمثال ﴿ لعلهم يتذكرون ﴿ فإن المثل يقرب المعنى إلى الأذهان كما قال تبارك وتعالى : ﴿ ضرب لكم مثلا من أنفسكم ﴿ أي تعلمونه من أنفسكم ، وقال عز وجل ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴿ وقوله جل وعلا ﴿ قرآنا عربيا غير ذي عوج ﴿ أي هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا نبس بل هو بيان ووضوح وبرهان ، وإنما جعله الله تعالى كذلك ، وأنزله بذلك ﴿ لعلهم يتقون ﴿ أي يحذرون ما فيه من الوعيد ويعملون بما فيه من الوعد . ثم قال ﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ﴿ أي يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم ﴿ ورجلا سلفا ﴿ أي سالما ﴿ لرجل ﴿ أي خالصا لا يملكه أحد غيره ﴿ هل يستويان مثلا ؟ ﴿ أي لا يستوي هذا وهذا . كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ؟ فأين هذا من هذا ؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد : هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمخلص ، ولما كان هذا المثل ظاهرا بيئا جليا قال ﴿ الحمد لله ﴿ أي على إقامة الحجة عليهم ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴿ أي فلهذا يشركون بالله . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ إنك ميت وإني ميتون ﴿ هذه الآية من الايات التي استشهد بها الصديق رضي الله عنه عند موت الرسول ﷺ حتى تحقق الناس موته مع قوله عز وجل ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ﴿ ومعنى هذه الآية أنكم ستنتقلون من هذه الدار لامحالة وستجتمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة وتختصمون فيها أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتح العليم ، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين . ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين . ثم أن هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة فإنها شاملة لكل المتنازعين في الدنيا فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة .

قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن أبي حاطب - يعني يحيى بن عبد الرحمن - عن ابن الزبير رضي الله عنها قال لما نزلت ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴿ قال الزبير رضي الله عنه : يا رسول الله أتكرر علينا الخصومة ؟ قال ﷺ « نعم » قال رضي الله عنه : إن الأمر إذا لشديد . وكذا رواه الإمام أحمد عن سفيان وعنده زيادة ، ولما نزلت ﴿ ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم ﴿ قال الزبير رضي الله عنه : أي رسول الله أي نعيم نسأل عنه وإنما نعيمنا الأسودان : النمر والماء ؛ قال ﷺ « أما إن ذلك سيكون » وقد روى هذه الزيادة الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان به وقال الترمذي حسن وقال أحمد أيضا حدثنا ابن نمير حدثنا محمد - يعني ابن عمرو - عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ ﴿ إنك ميت وإني ميتون ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴿ قال الزبير رضي الله عنه : أي رسول الله أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب ؟ قال ﷺ « نعم ليكررن عليكم حتى يؤدي إلى كل ذي حق

حقه قال الزبير رضي الله عنه : والله إن الأمر لشديد ، رواه الترمذي من حديث محمد بن عمرو به وقال حسن صحيح وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن ابن عياش عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «أول الخصمين يوم القيامة جاران» تفرد به أحمد وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده انه ليختصم حتى الشاتان فيما انتطحتا» تفرد به أحمد رحمه الله . وفي المسند عن أبي ذر رضي الله عنه انه قال رأى رسول الله ﷺ شاتين ينتطحان فقال «أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر؟» قلت لا قال ﷺ «لكن الله يدري وسيحكم بينهما» وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا سهل بن محمد حدثنا حيان بن أغلب حدثنا أبي حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «يجاء بالإمام الجائر الخائن يوم القيامة فتخاصمه الرعية فيفلحون عليه فيقال له سد ركننا من أركان جهنم» ثم قال الأغلب بن تميم ليس بالحافظ . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما «ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون» يقول مجاصم الصادق الكاذب ، والمظلوم الظالم ، والمهتدي الضال ، والضعيف المستكبر ، وقد روى ابن منده في كتاب الروح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : يختصم الناس يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجسد فتقول الروح للجسد أنت فعلت ويقول الجسد للروح أنت أمرت وأنت سولت فيبعث الله ملكاً يفصل بينهما فيقول لها إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير والآخر ضرير دخلا بستانا فقال المقعد للضرير إني أرى ههنا ثياراً ولكن لا أصل إليها فقال له الضرير اركبني فتناولها فركبه فتناولها فأبها المعتدي ؟ فيقولان كلاهما فيقول لها الملك فإنكما قد حكمتما على أنفسكما ، يعني أن الجسد للروح كالمطية وهي راكبه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن أحمد بن عوسجة حدثنا ضرار حدثنا أبو سلمة الخزازي حدثنا منصور بن سلمة حدثنا القمي - يعني يعقوب بن عبد الله عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : نزلت هذه الآية وما نعلم في أي شيء نزلت «ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون» قال قلنا من نخاصم ؟ ليس بيننا وبين أهل الكتاب خصومة فمن نخاصم ؟ حتى وقعت الفتنة فقال ابن عمر رضي الله عنهما : هذا الذي وعدنا ربنا عز وجل نخخصم فيه ، ورواه النسائي عن محمد بن عمرو عن منصور بن سلمة به ، وقال أبو العالية في قوله تبارك وتعالى : «ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون» قال يعني أهل القبلة ؛ وقال ابن زيد : يعني أهل الاسلام وأهل الكفر ، وقد قدمنا أن الصحيح العموم والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٢٣) وَالَّذِي

جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٤﴾ هُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٥﴾

لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾

يقول عز وجل مخاطباً للمشركين الذين افتروا على الله وجعلوا معه آلهة أخرى وأدعوا أن الملائكة بنات الله وجعلوا الله ولداً تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم على السنة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولهذا قال عز وجل «فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه» أي لا أحد أظلم من هذا لأنه جمع بين طرفي الباطل كذب على الله وكذب رسول الله قالوا الباطل وردوا الحق ولهذا قال جلّت عظمته متوعداً لهم «أليس في جهنم مثوى للكافرين؟» وهم الجاحدون المكذبون . ثم قال جل وعلا «والذي جاء بالصدق وصدق به» قال مجاهد وقناة والربيع بن أنس وابن زيد : الذي جاء بالصدق هو الرسول ﷺ وقال السدي : هو جبريل عليه السلام «وصدق به» يعني محمداً ﷺ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما «والذي جاء بالصدق» قال من جاء بلا إله إلا الله «وصدق به» يعني رسول الله ﷺ وقرأ الربيع بن أنس «والذين جاءوا بالصدق» يعني الانبياء «وصدقوا به» يعني الاتباع . وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد «والذي جاء بالصدق وصدق به» قال أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون هذا ما أعطيتونا فعملنا فيه بما أمرتونا . وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين فإن المؤمنين يقولون الحق ويعملون به والرسول ﷺ أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير فانه جاء بالصدق وصدق المرسلين وآمن بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم «والذي جاء بالصدق» هو رسول الله ﷺ «وصدق به» قال المسلمون «اولئك هم المتقون» قال ابن عباس رضي الله عنهما : اتقوا

الشرك ﴿لهم ما يشاؤون عند ربهم﴾ يعني في الجنة مهما طلبوا وجدوا ﴿ذلك جزاء المحسنين﴾ ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويمجزيم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون ﴿كما قال عز وجل في الآية الأخرى ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ .

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ. وَمَنْ يُضِلِّ

اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ حَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُوا أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَجِلُّ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِهِ عَذَابٌ يُحْزِنُهُ وَيَجْلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ وقرأ بعضهم ﴿عباده﴾ يعني انه تعالى يكفي من عبده وتوكل عليه وقال ابن ابي حاتم ههنا حدثنا ابو عبيد الله ابن اخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا ابو هانئ عن ابي علي عمرو بن مالك الجنبي عن فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول «أفلق من هدي إلى الاسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به» ورواه الترمذي والنسائي من حديث حيوة بن شريح عن ابي هانئ الخولاني به وقال الترمذي صحيح ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ يعني المشركين يخوفون الرسول ﷺ ويتوعدونه بأصنامهم وأهتهم التي يدعونها من دون الله جهلاً منهم وضلالاً ولهذا قال عز وجل ﴿ومن يضل الله فما له من هاد﴾ ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام؟ اي منبع الجناب لا يضام من استند إلى جنبه ولجأ إلى بابه فانه العزيز الذي لا اعز منه ولا أشد انتقاماً منه ممن كفر به واشرك وعاند رسوله ﷺ، وقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ يعني المشركين كانوا يعترفون بأن الله عز وجل هو الخالق للأشياء كلها ومع هذا يعبدون مع غيره مما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿قل أفرايتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره؟ أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته؟﴾ اي لا تستطيع شيئاً من الامر، وذكر ابن ابي حاتم ههنا حديث قيس بن الحجاج عن حنشل الصنعائي عن ابن عباس رضي الله عنها مرفوعاً «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم ان الأمة لو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك، ولو اجتمعوا على ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك، جفت الصحف ورفعت الاقلام واعمل الله بالشكر في اليقين . واعلم ان في الصبر على ماتركه خيراً كثيراً . وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسراً» ﴿قل حسبي الله﴾ اي الله كافي ﴿عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ كما قال هود عليه الصلاة والسلام حين قال قومه ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آهتنا بسوء قال إنني أشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون﴾ من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ . وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن عصام الأنصاري حدثنا عبد الله بن بكر السهمي حدثنا محمد بن حاتم عن ابي المقدم مولى آل عثمان عن محمد بن كعب القرظي حدثنا ابن عباس رضي الله عنهما رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال «من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله عز وجل اوثق منه بما في يديه، ومن أحب ان يكون اكرم الناس فليقت الله عز وجل، وقوله تعالى: ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي على طريقتكم وهذا تهديد ووعيد ﴿إني عامل﴾ اي على طريقتي ومنهجي ﴿فسوف تعلمون﴾ اي ستعلمون غب ذلك ووباله ﴿من يأتيه عذاب يخزيه﴾ أي في الدنيا ﴿ويجل عليه عذاب مقيم﴾ اي دائم مستمر لا يحيد له عنه وذلك يوم القيامة، اعلانا الله منها .

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ أَسْرَفَ فَلْيَسْرِ بِهِمْ فَمَا يَصِضْ لَهُمْ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ

بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا النَّوْتَ



يقول تبارك وتعالى بعد ما ذكر عن المشركين ما ذكر من المذمة لهم في جهيم الشرك ونفرتهم عن التوحيد ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي ادع انت الله وحده لا شريك له الذي خلق السموات والأرض وفطرها أي جعلها على غير مثال سبق ﴿عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي السر والعلانية ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهَا يَخْتَلِفُونَ﴾ أي في دنياهم ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم وقيامهم من قبورهم . قال مسلم في صحيحه : حدثنا عبد بن حميد حدثنا عمر بن يونس حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا يحيى ابن ابي كثير حدثني ابو سلمة بن عبد الرحمن قال : سألت عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته اذا قام من الليل؟ قالت رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ اذا قام من الليل افتتح صلاته «اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» . وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا سهيل عن ابي صالح وعبد الله بن عثمان بن خثيم عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ان رسول الله ﷺ قال «من قال اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة اني أعهد اليك في هذه الدنيا اني أشهد أن لا إله إلا الله انت وحدك لا شريك لك وان محمداً عبدك ورسولك فانك ان تكلمني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير، واني لا اتق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهداً توفيته يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد، الا قال عز وجل لملائكته يوم القيامة ان عبيدي قد عهد إلي عهداً فأوفوه اياه فيدخله الله الجنة» قال سهيل فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن ان عوناً أخبر بكذا وكذا فقال ما فينا جارية إلا وهي تقول هذا في خدرها انفرد به الإمام أحمد . وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني يحيى بن عبد الله أن أبا عبد الرحمن حدثه قال اخرج لنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قرطاساً وقال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا نقول : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة انت رب كل شيء . وإله كل شيء أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وان محمداً عبدك ورسولك والملائكة يشهدون، أعوذ بك من الشيطان وشركه، وأعوذ بك ان أقترف على نفسي إنماً او أجره إلى مسلم . قال ابو عبد الرحمن رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يعلمه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان يقول ذلك حين يريد ان ينام ، تفرد به احمد أيضاً .

وقال الإمام احمد أيضاً حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن محمد بن زياد الألهاني عن ابي راشد الجبراني قال : اتيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فقلت له حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ فألقى بين يدي صحيفة فقال هذا ما كتب لي رسول الله فنظرت فيها فإذا فيها ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : يا رسول الله علمني ما أقول اذا أصبحت واذا أمسيت فقال له رسول الله ﷺ «يا أبا بكر قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة لا إله إلا أنت رب كل شيء ومليكه أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه أن أقترف على نفسي سوءاً او أجره إلى مسلم» ورواه الترمذي عن الحسن بن عرفة عن اسماعيل بن عياش به وقال حسن غريب من هذا الوجه . وقال الإمام احمد حدثنا هاشم حدثنا سيار عن ليث عن مجاهد قال : قال ابو بكر الصديق أمرني رسول الله ﷺ أن أقول اذا أصبحت واذا أمسيت واذا اخذت مضجعي من الليل : اللهم فاطر السموات والارض الخ . وقوله عز وجل ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِثْرًا مِمَّا كَسَبُوا سِوَا مَا ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَنُذِرُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلِيمٌ مُّقْتَدِرٌ﴾ أي ولو أن جميع ما في الارض وضعفه معه ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ﴾ أي الذي اوجبه الله تعالى لهم يوم القيامة ومع هذا لا يقبل منهم الفداء ولو كان ملء الارض ذهباً كما قال في الآية الأخرى ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي بَالِهِمْ﴾ أي ظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سِتَاتٍ مَا كَسَبُوا﴾ أي وظهر لهم جزء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا .

فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نَائِمًا إِذَا حَوَّلَتْهُ نِعْمَةٌ مِمَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِينَا عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١١﴾ فَذَقُوا مِنَ الْآلِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١٢﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَنُذِرُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلِيمٌ مُّقْتَدِرٌ ﴿١١٣﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١٤﴾

يقول تبارك وتعالى غيبراً عن الإنسان انه في حال الضراء يتضرع إلى الله عز وجل وينيب إليه ويدعوه وإذا خوله نعمة منه بغى وطمغى وقال ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتَهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي لما يعلم الله تعالى من استحقاقه له ولولا أي عند الله خصيص لما خولني هذا، قال قتادة على علم عندي على خبر عندي قال الله عز وجل ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ أي ليس الامر كما زعم بل إنما انعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما انعمنا عليه أيطع أم يعصي مع علمنا المتقدم بذلك فهي فتنة أي اختبار ﴿وَلَكِن كَثُرْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فلماذا يقولون ما يقولون ويدعون ما يدعون ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى كثير من سلف من الأمم ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾ أي من المخاطبين ﴿سَيِّئِهِمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا﴾ أي كما أصاب أولئك ﴿مَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ كما قال تبارك وتعالى غيبراً عن قارون أنه قال له قومه ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ وابتغى فيها أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين \* قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴿وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعْذِبِينَ﴾ وقوله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي يوسع على قوم ويضيقه على آخرين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي لعبارة وحججاً .

﴿فَلْيَعْبَادُوا الَّذِينَ أَنْسَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْضُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾  
﴿٢٣﴾ وَأَسْمِعُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْمِعُوا لَهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْمِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ  
إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي  
عَلَىٰ مَا قَرَّرْتُ فِي حُبِّ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ﴿٢٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾  
أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَ أَيْتِي فَكَدَّبَتْ بِهَا  
وَأَسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتُ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٢٩﴾

هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها وان كانت مهها كانت وان كثرت وكانت مثل زيد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه . قال البخاري حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال يعلى أن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا عمداً ﷺ فقالوا ان الذي تقول وتدعو إليه الحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل ﴿والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ ونزل ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج عن يعلى بن مسلم المكبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما به . والمراد من الآية الأولى قوله تعالى : ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾ الآية . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا ابو قبيل قال : سمعت أبا عبد الرحمن المزني يقول : سمعت ثوبان مولى رسول الله ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول وما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ إلى آخر الآية فقال رجل يا رسول الله فمن أشرك؟ فسكت النبي ﷺ ثم قال «ألا ومن أشرك» ثلاث مرات تفرد به الامام احمد . وقال الامام احمد أيضاً حدثنا شريح بن النعمان حدثنا نوح بن قيس عن اشعث بن جابر الحدادي عن مكحول عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ شيخ كبير يدعم على عصاه فقال : يا رسول الله ان لي غدرات وفجرات فهل يغفر لي؟ فقال ﷺ ألت تشهد أن لا إله إلا الله؟ قال بلى وأشهد انك رسول الله فقال ﷺ «قد غفر لك غدراتك وفجراتك» تفرد به احمد .

وقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقرأ ﴿إنه عمل غير صالح﴾ وسمعت ﷺ يقول ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا

على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ ورواه أبو داود والترمذي من حديث ثابت به. فهذه الأحاديث كلها دالة على ان المراد انه يغفر جميع ذلك مع التوبة ولا يقنطن عبد من رحمة الله وان عظمت ذنوبه وكثرت فإن باب الرحمة والتوبة واسع قال الله تعالى: ﴿لم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ وقال عز وجل ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ وقال جل وعلا في حق المنافقين ﴿ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن نجد لهم نصيراً﴾ الا الذين تابوا وأصلحوا﴾ وقال جل جلاله ﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ ثم قال جل جلالته ﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾ وقال تبارك وتعالى: ﴿ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا﴾ قال الحسن البصري رحمة الله عليه انظروا إلى هذا الكرم والجلود قتلتوا اوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة والآيات في هذا كثيرة جداً. وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ حديث الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً ثم ندم وسأل عابداً من عباد بني اسرائيل هل له من توبة ، فقال لا فقتله وأكمل به مائة ثم سأل عالماً من علمائهم هل له من توبة فقال ومن يحول بينك وبين التوبة ، ثم أمره بالذهاب إلى قرية يعبد الله فيها فقصدها فاتاه الموت في اثناء الطريق فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأمر الله عز وجل ان يقيسوا ما بين الارضين فالى أيهما كان اقرب فهو منها فوجدوه اقرب إلى الارض التي هاجر اليها بشر فقبضته ملائكة الرحمة ، وذكر انه نأى بصدرة عند الموت وأن الله تبارك وتعالى أمر البلدة الخيرة ان تقرب امر تلك البلدة ان تتباعد ، هذا معنى الحديث وقد كتبتاه في موضع آخر بلفظه . وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ إلى آخر الآية قال قد دعا الله تعالى إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله ومن زعم ان المسيح هو ابن الله ومن زعم ان عزيراً ابن الله ومن زعم ان الله فقير ومن زعم ان يد الله مغلولة ومن زعم ان الله ثالث ثلاثة يقول الله تعالى هؤلاء ﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾ ثم دعا إلى التوبة من هو اعظم قولاً من هؤلاء ، من قال انا ربكم لاعلى وقال ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل ، ولكن لا يقدر العبد ان يتوب حتى يتوب الله عليه وروى الطبراني من طريق الشعبي عن سنيذ بن شكل انه قال سمعت ابن مسعود يقول ان اعظم آية في كتاب الله ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ وان أجمع آية في القرآن بخير وشر ﴿ان الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ وان أكثر آية في القرآن فرحاً في سورة الزمر ﴿قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ وان اشد آية في كتاب الله تفويضاً ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ فقال له مسروق صدقت . وقال الاعمش عن ابي سعيد عن ابي الكنود قال مر عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه على قاص وهو يذكر الناس فقال يا مذكر لم تقنط الناس من رحمة الله؟ ثم قرأ ﴿قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ رواه ابن ابي حاتم رحمه الله .

#### [ذكر احاديث فيها نفي القنوط]

قال الامام أحمد: حدثنا شريح بن النعمان حدثنا ابو عبيدة عبد المؤمن بن عبيد الله السدي حدثني حسن الدوسي قال: دخلت على أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول والذي نفسي بيده لو اخطاتم حتى تملا خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم ، والذي نفس محمد - ﷺ - بيده لو لم تخطئوا لجاء الله عز وجل بقوم يحطون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم ثم تغفر به احمد . وقال الامام احمد: حدثنا اسحاق بن عيسى حدثني الليث حدثني محمد بن قيس قاص عمر بن عبد العزيز عن ابي صرمة عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال حين حضرته الوفاة قد كنت كتمت منكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ يقول ﴿ولو لا انكم تذبون لخلق الله عز وجل قوماً يذبون فيغفر لهم﴾ هكذا رواه الامام أحمد وأخرجه مسلم في صحيحه والترمذي جميعاً عن قتيبة عن الليث بن سعد به ، ورواه مسلم من وجه آخر به عن محمد بن كعب القرظي عن ابي صرمة وهو الانصاري صحابي عن ابي ايوب رضي الله تعالى عنهما به . وقال الامام احمد حدثنا احمد بن عبد الملك الخزازي حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك البكري قال سمعت ابي يحدث عن ابي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ ﴿كفارة الذنب الندامة﴾ وقال رسول الله ﷺ ﴿لو لم تذبوا لجاء الله تعالى بقوم يذبون فيغفر لهم ثم تغفر به احمد . وقال عبد الله بن الامام احمد حدثني عبد الأعلى بن حماد القرشي حدثنا داود بن عبد الرحمن حدثنا ابو عبد الله بن مسلمة بن عبد الله الرازي عن ابي عمرو البجلي عن عبد الملك ابن سفيان الثقفي عن ابي جعفر محمد بن علي عن محمد ابن الحنفية عن ابيه علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ وان



الحزبي واهوان بسبب تكبرهم وتجبرهم واثامهم عن الانقياد للحق . قال ابن ابي حاتم حدثنا ابو عبيد الله ابن اخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا عيسى بن ابي عيسى الخياط عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال «إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة اشباه الذر في صور الناس يعلمهم كل شي من الصغار حتى يدخلوا سجنا من النار في واد يقال له بولس من نار الأنبار ويسقون من عصارة اهل النار ومن طينة الخبال» . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِزَانٍ عَدْلٍ ﴾ أي بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله ﴿ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ وَلَا هُمْ يَمْرُؤُونَ ﴾ أي ولا يجزئهم الفزع الاكبر بل هم آمنون من كل فزع مزحزون عن كل شر نائلون كل خير .

اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٣٦﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيٰتِ اللَّهِ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ اَفَعَبَّرَ اللَّهُ تٰمُرُوۡنَۤىۡ اَعْبَدُۡنٰهَا الْجٰهَلُوۡنَ ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ اَوْحٰى اِلَيْكَ وَاِلَى الَّذِيۡنَ مِنْ قَبْلِكَ لَیۡنَ اَشْرٰكُتَ لَیۡحِبَطَّنَ عَلَمُكَ وَاَلَتُكُوۡنَنَّ مِنَ الْمَشْرِیۡنِ ﴿٣٩﴾ بَلِ اللّٰهُ فَاَعْبُدُوۡكُمْ مِّنَ الشُّكْرِیۡنَ ﴿٤٠﴾

يُخبر تعالى أنه خالق الاشياء كلها وربها ومليكتها والمتصرف فيها وكل تحت تدبيره وقهره وكلايته، وقوله عز وجل ﴿ له مقاليد السموات والارض ﴾ قال مجاهد: المقاليد هي المفاتيح بالفارسية، وكذا قال قتادة وابن زيد وسفيان بن عيينه، وقال السدي ﴿ له مقاليد السموات والارض ﴾ أي خزائن السموات والارض، والمعنى على كلا القولين ان ازمة الامور بيده تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولهذا قال جل وعلا ﴿ والذين كفروا بآيات الله ﴾ أي حججه وبراهينه ﴿ وأولئك هم الخاسرون ﴾ وقد روى ابن ابي حاتم ههنا حديثا غريبا جداً وفي صحته نظر ولكن نحن نذكره كما ذكره فإنه قال حدثنا يزيد بن سنان البصري بمصر حدثنا يحيى بن حماد حدثنا الاغلب بن نعيم عن مخلد بن هذيل العبيدي عن عبد الرحمن المدني عن عبد الله بن عمر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿ له مقاليد السموات والارض ﴾ فقال « ما سألتني عنها أحد قبلك يا عثمان » قال ﷺ « تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده، استغفر الله ولا قوة الا بالله، الاول والآخر والظاهر والباطن، بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . من قالها يا عثمان اذا اصبح عشر مرار أعطى خصالاً ستاً: أما اولاهن فيحرس من ابليس وجنوده وأما الثانية فيعطي قطاراً من الاجر . وأما الثالثة فترفع له درجة في الجنة، وأما الرابعة فيتزوج من الحور العين، وأما الخامسة فيحضره اثنا عشر ملكاً، وأما السادسة فيعطي من الاجر كمن قرأ القرآن والتوراة والانجيل والزيور، وله مع هذا يا عثمان من الاجر، كمن حج وتقبلت حجته واعتمر فقبلت عمرته فان مات من يومه طبع عليه بطابع الشهداء » ورواه ابو يعلى الموصلي من حديث يحيى بن حماد به مثله وهو غريب وفيه نكارة شديدة والله اعلم . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ اَفَعَبَّرَ اللَّهُ تٰمُرُوۡنَۤىۡ اَعْبَدُۡنٰهَا الْجٰهَلُوۡنَ ؟ ﴾ ذكروا في سبب نزولها ما رواه ابن ابي حاتم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المشركين من جاهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم وبعبدوا معه إله فنزلت ﴿ قُلْ اَفَعَبَّرَ اللَّهُ تٰمُرُوۡنَۤىۡ اَعْبَدُۡنٰهَا الْجٰهَلُوۡنَ ؟ ﴾ ولقد اوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن اشركت ليجبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴿ وهذه كقوله تعالى : ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ . وقوله عز وجل ﴿ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ أي اخلص العبادة لله وحده لا شريك له انت ومن اتبعك وصدقك .

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ . وَالْاَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَالسَّمٰوٰتُ مَطْوِيٰتٌ بِيَمِيۡنِهِۦۗ سُبْحٰنَهُۥ

وَعَلَىٰ عَمَّاۤىۡشِرِكُوۡتِكُمْ ﴿٤١﴾

يقول تبارك وتعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ أي ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذي لا أعظم منه القادر على كل شيء المالك لكل شيء وكل شيء تحت قهره وقدرته، قال مجاهد نزلت في قريش، وقال السدي ما عظموه حق تعظيمه، وقال محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوا، وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرته الله عليهم . فمن آمن ان الله على كل شيء قدير

فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة والطريق فيها وفي امثالها مذهب السلف وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف. قال البخاري قوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ حدثنا آدم حدثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء خبر من الاحبار إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على اصبع والارضين على اصبع، والشجر على اصبع، والماء والثرى على اصبع، وسائر الخلق على اصبع فيقول أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الخبر ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ الآية ورواه البخاري أيضاً في غير هذا الموضع من صحيحه والإمام احمد ومسلم والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما كلهم من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود رضي الله عنه نحوه. وقال الإمام احمد حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ من اهل الكتاب فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يجعل الخلائق على اصبع والسموات على اصبع والارضين على اصبع والشجرة على اصبع والماء والثرى على اصبع، قال فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه قال وأنزل الله عز وجل ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ إلى آخر الآية، وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الاعمش به. وقال الإمام احمد حدثنا حسين بن حسن الاشقر حدثنا ابو كدينة عن عطاء عن ابي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مر بيودي برسول الله ﷺ وهو جالس فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه - وأشار بالسبابة - والارض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه - كل ذلك يشير بأصابعه - قال فأنزل الله عز وجل ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية وكذا رواه الترمذي في التفسير عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن محمد بن الصلت عن ابي جعفر عن ابي كدينة يحيى بن المهلب عن عطاء بن السائب عن ابي الضحى مسلم بن صبيح به وقال الحسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. ثم قال البخاري حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث حدثنا عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن ابي سلمة بن عبد الرحمن أن ابا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «يقبض الله تعالى الارض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض» تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر. وقال البخاري في موضع آخر حدثنا مقدم بن محمد حدثنا عمي القاسم ابن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال «إن الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الارضين على اصبع وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك» تفرد به أيضاً من هذا السياق واطول فقال حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها بقبل يها ويدبر «يمجد الرب نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم» فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخزن به وقد رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث عبد العزيز بن ابي حازم زاد مسلم ويعقوب بن عبد الرحمن كلاهما عن ابي حازم عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما به نحوه. ولفظ مسلم عن عبيد الله بن مقسم في هذا الحديث أنه نظر إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيف يحكي النبي ﷺ قال يأخذ الله تبارك وتعالى سمواته وأرضيه بيده ويقول أنا الملك ويقبض اصابعه ويسطها أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى إني لأقول أساقط هو برسول الله ﷺ. وقال البزار حدثنا سليمان بن سيف حدثنا أبو علي الحنفي حدثنا عباد المتقري حدثني محمد بن المنكدر قال حدثنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ان رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر ﴿وما قدروا الله حق قدره - حتى بلغ - سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ فقال المنبر هكذا فجاء ذهب ثلاث مرات والله اعلم، ورواه الإمام الحافظ ابو القاسم الطبراني من حديث عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقال صحيح. وقال الطبراني في المعجم الكبير حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العتيبي حدثنا حسان بن نافع عن صخر بن جويرية حدثنا سعيد بن سالم القداح عن معمر بن الحسن عن بكر بن خنيس عن ابي شيبه عن عبد الملك بن عمير عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لنفر من اصحابه رضي الله عنهم «اني قارىء عليكم آيات من آخر سورة الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة» فقرأها ﷺ من عند ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ إلى آخر السورة فصنا من بكى ومنا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا يا رسول الله لقد جهدنا أن نبكي فلم نبك فقال ﷺ «إني سأقرأها عليكم فمن لم يبك فليتبك» هذا حديث غريب جدا، وأغرب منه ما رواه في المعجم الكبير أيضاً حدثنا هاشم بن زيد حدثنا محمد بن اسماعيل بن عياش حدثني ابي حنيفة ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن ابي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «ان الله تعالى يقول ثلاث خلال غيبهن عن عبدي لو

رأهن رجل ما عمل بسوء أبدا: لو كشفت غطائي فرأني حتى استيقن ويعلم كيف افعل بخلفي إذا أتيتهم وقبضت السموات بيدي ثم قبضت الأرضين ثم قلت أنا الملك من ذا الذي له الملك دوني فأرهم الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير فيستقنوها وأرهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستقنوها ولكن عمداً غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون وقد بينته لهم، وهذا إسناد متقارب وهي نسخة تزوي بها أحاديث جمة والله أعلم .

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ  
 ﴿١٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ  
 ﴿١٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فقولته تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ هذه النفخة هي الثانية وهي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله كما جاء مصرحاً به مفسراً في حديث الصور المشهور ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الذي كان أولاً وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء ويقول (لمن الملك اليوم) ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول ﴿الله الواحد القهار﴾ أنا الذي كنت وحدي وقد قهرت كل شيء، وحكمت بالفناء على كل شيء، ثم يجي أول من يجي إسرئيل ويأمره أن ينفخ بالصور مرة أخرى وهي النفخة الثالثة نفخة البعث قال الله عز وجل ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ أي أحياء بعدما كانوا عظاماً ورفاتا صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة﴾ . وقال عز وجل ﴿يوم يدعوكم فيستجيبون بحمده وتظنون ان لبسماً إلا قليلاً﴾ وقال جل وعلا ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود قال سمعت رجلاً قال لعبد الله بن عمرو رضي الله عنها إنك تقول الساعة تقوم إلى كذا وكذا قال لقد همت أن لا أحدنكم شيئاً إنما قلت سترون بعد قليل أمراً عظيماً ثم قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يخرج الدجال في أمي فيمكث فيهم أربعين لا ادري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً أو أربعين ليلة فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم عليها الصلاة والسلام كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيظهر فيهلكه الله تعالى ثم يلبث الناس بعده سنين سبعا ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله تعالى ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى ان لو كان أحدهم كان في كبد جبل لدخلت فيه» قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم «ويبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكراً قال فيتمثل جم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبودونها وهم في ذلك دارة أرزاقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لينا ورفع لينا وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق ثم لا يبقى أحد إلا صعق، ثم يرسل الله تعالى أو ينزل الله عز وجل مطراً كأنه الطل - أو الظل شك نعمان - فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال أيها الناس هلموا إلى ربكم ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ قال ثم يقال أخرجوا بعث النار قال فيقال كم؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيومئذ تبعث الولدان شيئاً ويومئذ يكشف عن ساق، انفرد بإخراجه مسلم في صحيحه .

[حديث أبي هريرة رضي الله عنه]

وقال البخاري حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال سمعت أبا صالح قال سمعت أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يحدث عن النبي ﷺ وقال «ما بين النفتين أربعون» قالوا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال رضي الله تعالى عنه آبيت ، قالوا أربعون سنة؟ قال آبيت ، قالوا أربعون شهراً؟ قال آبيت ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق .

وقال أبو يعلى حدثنا يحيى بن معين حدثنا أبو اليان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال سألت جبريل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية ﴿ونفخ في الصور



## نَشَأَ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٧٦﴾

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على التجائب وقدأ الى الجنة زمراً أي جماعة بعد جماعة : المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم : الأنبياء مع الأنبياء والصديقون مع أشكالهم والشهداء مع أضرابهم ، والعلماء مع أقرانهم وكل صنف مع صنف كل زمرة تناسب بعضها بعضاً ﴿حتى إذا جاءوها﴾ أي وصلوا الى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حسبوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتصص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة وقد ورد في حديث الصور أن المؤمنين إذا انتهوا إلى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم في الدخول فيقصدون آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد ﷺ وعليهم أجمعين كما فعلوا في العرصات عند استشفاعهم الى الله عز وجل أن يأتي لفصل القضاء ليظهر شرف محمد ﷺ على سائر البشر في المواطن كلها وقد ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «أنا أول شفيع في الجنة» وفي لفظ لمسلم «وأنا أول من يقرع باب الجنة» .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «آتي باب الجنة يوم القيامة فأسفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد - قال - فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك» ورواه مسلم عن عمرو بن محمد الناقد وزهير بن حرب كلاهما عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان وهو ابن المغيرة القيسي عن ثابت عن أنس رضي الله عنه به . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون فيها ولا يتغوطون فيها ، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة وبجواهرهم الألوة ورسحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مع ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله تعالى بكرة وعشيا» ورواه البخاري عن محمد بن مقاتل عن ابن المبارك . ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق كلاهما عن معمر بإسناده نحوه وكذا رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون أمشاطهم الذهب ورسحهم المسك وبجواهرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء» وأخرجه أيضاً من حديث جرير وقال الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «يدخل الجنة من أمي زمرة هم سبعون ألفاً نضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر» فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال «اللهم اجعله منهم» ثم قام رجل من الأنصار فقال يارسول الله ادع الله تعالى أن يجعلني منهم فقال ﷺ «سبقك بها عكاشة» أخرجه وقد روى هذا الحديث - في السبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب - البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها وجابر بن عبد الله وعمران بن حصين وابن مسعود ورفاعة بن عرابة الجهني وأم قيس بنت محصن رضي الله عنهم ولها عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال «ليدخلن الجنة من أمي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألفاً أخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر» . وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا إساعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال سمعت أبا أمامة الباهلي رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «وعدي ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً لأحساب عليهم ولاعذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل» وكذا رواه الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن حكيم بن عامر عن أبي اليان عامر بن عبد الله بن يحيى عن أبي أمامة ورواه الطبراني عن عيينة بن عبد السلمي «ثم مع كل ألف سبعين ألفاً» وروى مثله عن ثوبان وأبي سعيد الأنصاري وله شواهد من وجوه كثيرة . وقوله تعالى : ﴿حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طمتم فادخلوها خالدين﴾ لم يذكر الجواب هنا ، وتقديره حتى اذا جاءوها وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم إكراماً وتعظيماً وتلقيتهم الملائكة الحزنة بالبشارة والسلام والنشاء كما تلقى الزبانية الكفرة بالثريب والتأنيب فتفقدته اذا كان هذا سعدوا وطابوا وسروا وفرحوا بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم ، وإذا حذف الجواب هنا ذهب الذهن كل مذهب في الرجاء والامل ، ومن زعم أن الواو في قوله تبارك وتعالى : ﴿وفتحت أبوابها﴾ واو الثمانية واستدل به على أن أبواب الجنة ثمانية فقد أبعد النجعة وأغرق في

الترج ، وإنما يستفاد كون أبواب الجنة ثمانية من الأحاديث الصحيحة .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من أفق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دعي من أبواب الجنة وللجنة أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان» فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يارسول الله ماعلى أحد من ضرورة دعي من أيها دعي فهل يدعى منها كلها أحد يارسول الله ؟ قال ﷺ «نعم وأرجو أن تكون منهم» رواه البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه وفيها من حديث أبي حازم سلمة بن دينار عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون» وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «مامنكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» وقال الحسن بن عرفة حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «مفتاح الجنة لا إله إلا الله» .

ذكر سعة أبواب الجنة - نسأل الله من فضله العظيم أن يجعلنا من أهلها

في الصحيحين من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل «فيقول الله تعالى يا محمد أدخل من لاحتساب عليه من أمتك من الباب الأيمن وهم شركاء الأخر والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة ما بين عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر - أو هجر ومكة - وفي رواية - مكة وبصرى» وفي صحيح مسلم عن عتبة بن غزوان أنه خطبهم خطبة فقال فيها ولقد ذكر لنا أن ما بين مصرعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، وفي المسند عن حكيم بن معاوية عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ مثله ، وقال عبد بن حميد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «إن ما بين مصرعين في الجنة مسيرة أربعين سنة» . وقوله تبارك وتعالى : «وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم» أي طبابت أعمالكم وأقوالكم وطاب سعيكم وطاب جزاؤكم كما أمر رسول الله ﷺ أن ينادي بين المسلمين في بعض الغزوات «إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة - وفي رواية - مؤمنة» وقوله «فادخلوها خالدين» أي ماكنين فيها أبدا لا يفتنون عنها حولا» «وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده» أي يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر والعطاء العظيم والنعيم المقيم والملك الكبير يقولون عند ذلك «الحمد لله الذي صدقنا وعده» أي الذي كان وعدنا على السنة رسله الكرام كما دعوا في الدنيا «ربنا وأتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد» «وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق» «وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور» الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسننا فيها نصب ولا يمسننا فيها لغوب» وقولهم «وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فتعم أجر العاملين» . قال أبو العالية وأبو صالح وقتادة والسدي وابن زيد أي أرض الجنة فهذه الآية كقوله تعالى «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون» ولهذا قالوا «نتبوا من الجنة حيث نشاء» أي أين شئنا حللنا فتعم الأجر أجرنا على عملنا وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أنس رضي الله عنه في قصة المعراج قال النبي ﷺ «وأدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا تراءها المسك» .

وقال عبد الرحمن بن حميد حدثنا روح بن عباد حدثنا حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ سأل ابن صائد عن تربة الجنة فقال در مكة بيضاء مسك خالص فقال رسول الله ﷺ «صدق» وكذا رواه مسلم من حديث أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه به ورواه مسلم أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال إن ابن صائد سأل رسول الله ﷺ عن تربة الجنة فقال «درمكة بيضاء مسك خالص» . فقال رسول الله ﷺ «صدق» وكذا رواه مسلم من حديث أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه به ورواه مسلم أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال إن ابن صائد سأل رسول الله ﷺ عن تربة الجنة فقال «درمكة بيضاء مسك خالص» . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى : «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً» قال سيقوا حتى انتهوا إلى باب من أبواب الجنة فوجدوا عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فعمدوا إلى إحداها فقطعوا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم

تغير أبقارهم بعدها أبداً ولم تشعث أبقارهم أبداً بعدها كأنما دهنوا بالدهان ثم عمدوا الى الأخرى كأنما أمروا بها فشرّبوا منها فأذهبت ماكان في بطونهم من أذى أوقذى وتلقنهم الملائكة على ابواب الجنة ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ وتلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به فعل الولدان بالحميم جاء من الغيبة أبشرفد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا وقاعد الله لك من الكرامة كذا وكذا ، قال وينطلق غلام من غلمانه الى ازواجه من الحور العين فيقول هذا فلان باسمه في الدنيا فيقلن انت رأيت فيقول نعم فيستخفن الفرح حتى تخرج الى أسكفة الباب قال فيجيء فاذا هو بشارق مصفوفة وأكواب موضوعة وزراي مبثوثة ، قال ثم ينظرالى تأسيس بنيانه فاذا هو قد أسس على جندل اللؤلؤ بين أحمراء وأخضر وأصفر وأبيض ومن كل لون ثم يرفع طرفه الى سقفه فلولا أن الله تعالى قدره له لآلم أن يذهب ببصره أنه لمثل البرق ثم ينظر الى أزواجه من الحور العين ثم يتكىء على أريكة من أرائكه ثم يقول ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ .

ثم قال : حدثنا أبي حدثنا أبو غسان مالك بن اسماعيل النهدي حدثنا مسلمة بن جعفر البجلي قال : سمعت أبا معاذ البصري يقول أن علياً رضي الله عنه كان ذات يوم عند رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ «والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون - أويؤتون - بنوق لها أجنحة وعليها رحال الذهب شراك تعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون الى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحدهما فتغسل مافي بطونهم من دنس ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبقارهم ولا أشعارهم بعدها أبداً وتحري عليهم نضرة النعيم فينتهون - أو فيأتون - باب الجنة فاذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفيحة فيسمع لها طنين يعلى فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتبعث قيمها فيفتح له فاذا رآه خر له - قال مسلمة أراه قال ساجداً - فيقول ارفع رأسك فإنما أنا قيمك وكنت بأمرك فيتبعه ويقفو أثره فتستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتقه ثم تقول أنت حبي وأنا حبك وأنا الخالدة التي لأموت وأنا الناعمة التي لأبأس وأنا الراضية التي لا أسخط وأنا المقيمة التي لأظعن فيدخل بيتا من اسمه الى سقفه مائة الف ذراع بناؤه على جندل اللؤلؤ طرائق أصفر وأخضر وأحمراء ليس منها طريقة تشاكل صاحبها في البيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون حشبة على كل حشبة سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الحلل يقضي جماعها في مقد ليلة من لياليكم هذه ، الأنهار من تحتهم تطرد وأنهار من ماء غير آسن» - قال صاف لا كدر فيه - «وأنهار من لبن لم يتغير طعمه» - قال لم يخرج من ضروع المشية - «وأنهار من حمر لذة للشاربين» - قال لم تصرها الرجال بأقدامهم - «وأنهار من عسل مصفى» - قال لم يخرج من بطون النحل ، يستحني الثار فإن شاء قائماً وإن شاء قاعداً وإن شاء متكئاً - ثم تلا ﴿ودانية عليهم ظلالها وذلقت قطوفها تذليلًا﴾ - فيشتهي الطعام فيأتيه طيراً أبيض قال وربما قال أخضر قال فترفع أجنحتها فيأكل من جنوبها أي الألوان شاء ثم يطير فيذهب فيدخل الملك فيقول : سلام عليكم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ولو أن شمرة من شعر الحوراء وقعت في الأرض لأضاءت الشمس معها سواداً في نوره هذا حديث غريب وكأنه مرسل ، والله أعلم .

وَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار وأنه نزل كلا في المحل الذي يليق به ويصلح له وهو العادل في ذلك الذي لايجوز ، أخبر عن ملائكته أنهم محققون من حول العرش المجيد يسبحون بحمد ربهم ويمجدونه ويعظمونه ويقدمونه ويزهونه عن النقائص والجور وقد فصل القضية وقضى الأمر وحكم بالعدل وهذا قال عز وجل ﴿وقضى بينهم﴾ أي بين الخلائق ﴿بالحق﴾ . ثم قال ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ أي نطق الكون أجمعه ناطقه وبهيمه الله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله ولهذا لم يسند القول الى قائل بل أطلقه فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد قال قتادة افتتح الخلق بالحمد في قوله ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾ واختتم بالحمد في قوله تبارك وتعالى : ﴿وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ .